قراءة نقدية لترجمة كاردان
لحوليات عبد الرحمن الجبرتى ونيقولا الترك
حول الحملة الفرنسية

أ. د/ مها جاد الحق

تتناول هذه الورقة دراسة ترجمة ألكسندر كاردان لنصين كتبهما معاصران للحملة الفرنسية، أحدهما للمؤرخ المصرى المشهور عبد الرحمن الجبرتى والثانى لمؤرخ شامى يدعى نيقولا الترك. والإشكالية الأساسية: فى هذة الورقة هى: كيف رأى الجبرتى ونيقولا الترك الحملة الفرنسية؟ وكيف ترجم كاردان نصهما إلى الفرنسية؟ ولماذا حرص على تقديم ترجمة النصين فى كتاب واحد أمام القارئ الفرنسى؟ وإلى أى مدى يمكن اعتبار النقل من اللغة العربية إلى الفرنسية قد تم تحقيقه؟ وهل يمكن التكلم عن خطابيين مختلفين، عن أيديولوجيتين؟ وماذا تعنى التشوهات التى طرأت على النص؟ وإلى أى مدى يمكن عن طريق هذه الترجمة معرفة طبيعة العلاقات بين الشرق والغرب فى دراسات القرن التاسع عشر؟ ويتصل بذلك تحديد ماهية الأسباب التى أدت إلى إعادة ترجمة نص الجبرتى مرتين أخريين (فى 1888ثم فى 1989)، وكذلك ترجمة نص نيقولا الترك مرتين (الأولى فى العام التالى لترجمة كاردان فى العام 1839 والأخرى فى العام 1950)؟. وللإجابة على هذه التساؤلات يتعين علينا أن نعقد مقارنة بين النصين العربيين والترجمة الفرنسية لهما.

منهج الدراسة :

يقوم منهج الدراسة على القراءة المقارنة للنصين، وذلك باستخدام منهج تحليل الخطاب analyse du discour. وقد بدأ بشكل تدريجي: أولاً، الكلمة مع استخدام الفرق بين المعنى والإيحاء connotation / dénotation، والكلمات المستعارة Les emprunts من اللغات الأخرى، وبعد ذلك تطرقنا إلى رصد المعانى المغلوطة، ثم المعانى العكسية فضلا عن أسماء العلم، كما كان من المهم دراسة الاختلافات على مستوى الجملة. (مثل: الإضافات، بالحذف، بالتبديل والإبراز)، وبالإضافة إلى ذلك تناولنا التشوهات التى حدثت على مستوى البيان énonciation لمؤرخنا. وقد درسنا التغييرات على مستوى الضمائر المتكلم ثم اختفاء الآيات القرآنية من النص والصفحات الأخيرة من كل عام، كما كان من الأهمية بمكان عدم إغفال دراسة النصوص المصاحبة للنص الفرنسى مثل مقدمة المترجم أو الصورة الموجودة فى بداية الترجمة ؛ لما لذلك من أهمية فى توضيح الأهداف الأساسية لكاردان من وراء ترجمة النص.

وسوف نتناول بالتحليل دراسة كل نص على حدة ورصد الاختلافات الموجودة بين النص العربى والنص الفرنسى، ومن خلال الاختلافات يمكننا أن نفهم الأفكار الاستشراقية السائدة فى ذلك العصر، ونحاول التعرف على القراءة الفرنسية لحدث الحملة بعد ثلاثة عقود، من خلال الترجمة والتعليقات التى ساقها كاردان، ثم نحاول فى النهاية وضع خلاصة مجملة للسمات الأساسية لترجمة النصين.

أولا : نص ترجمة الجبرتى

كتب عبد الرحمن الجبرتى ثلاثة نصوص تعرض أحداث الحملة الفرنسية، الأول منها يحمل عنوان: **"مدة الفرنسيين فى مصر"**، والثانى جاء تحت عنوان: **"مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين"**. أما الثالث والأخير والذى حظى بشهرة كبيرة فحمل عنوان: **"عجائب الآثار فى التراجم والأخبار"**، وهو نص لا يتحدد فقط بأحداث الحملة الفرنسية وإنما يرصد فيه كاتب الحوليات تاريخ المجتمع المصرى فى

الحقبة العثمانية ككل. ويقع النص الأخير فى 1927 صفحة، شغلت أحداث الحملة فيه 333 صفحة. ومن الأهمية أن نشير إلى أن ألكسندر كاردان قد اعتمد على هذا النص الأخير (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) عند ترجمته ليوميات الاحتلال.

يبدأ الجبرتى سنة 1213 هجرياً / 1798 ميلادياً (وهو عام الحملة) بهذه الكلمات: " **وهى أولى سنن الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة وتضاعف الشرور وترادف الأمور وتوالى المِحن واختلال الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال وفساد التدبير وحصول التدمير وعموم الخراب وتواتر الأسباب وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**".[1] وهى كلمات لا تعبر عن نظرة إيجابية للحملة، فكما نعلم أثارت الحملة الفرنسية العديد من ردود الأفعال تختلف اختلافاً شديداً بعضها عن البعض. فهناك من اعتبرها الصدمة الحضارية التى كانت بمثابة الزلزال الذى أخرج مصر من عصور الظلام، أما البعض الآخر، فقد رأى فيها حملة عسكرية استعمارية فاشلة لم تنجح فى تحقيق أهدافها فى مصر. فهل الجبرتى يعتبر من المجموعة الأولى أم الثانية؟ وإذا كان لاينتمى إلى أى منهما، فهل يمكن تحديد ملامح رؤية الجبرتى لهذا الحدث التاريخى الكبير؟

نشرت الترجمة الأولى للجزء الخاص بالحملة الفرنسية من "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" بالفرنسية فى العام 1838، وتأتى ترجمة هذا الجزء فى ظرف تاريخى معين يتمثل فى سقوط مدينة الجزائر فى أيدى الفرنسيين فى عام 1830؛ ومن ثم تمثل الترجمة اهتماماً كبيراً لنا لأنها كما قلنا تعد الترجمة الأولى؛ حيث تم ترجمة النص نفسه بالفرنسية مرتين أخريين بعد ذلك، وبصفة عامة لم تخضع هذه النصوص المترجمة لأى دراسة مقارنة مع الأصول التى كتبها الجبرتى.

وقد واجهت هذه الدراسة بعض الصعوبات ؛ وذلك جراء قلة المعلومات المتوفرة عن المترجم ألكسندر كاردان: فنحن لدينا فقط وظيفته الذى حددها تحت اسمه وهى مترجم القنصلية الفرنسية فى الإسكندرية. على إننا لا نعلم نوع التكوين

العلمى الذى حظى به، ولا نعرف مستوى إلمامه باللغة العربية؟ وما هى آراؤه السياسية؟ كل هذه الأسئلة لم نستطع أن نجد إجابة عليها.

أضف إلى ذلك، أننا لا نعلم كيف وصل إليه النص العربى الذى لم ينشر فى مصر إلا سنة 1878 أى 50 عاماً بعد ظهور ترجمته فى فرنسا عام 1838، فقد استطاع الجمهور الفرنسى التعرف على نص الجبرتى قبل جمهوره المصرى.

الظرف التاريخى لترجمة كاردان:

يختم المترجم المقدمة بالكلمات الآتية:" **إذا أتصور فى حال نشر الترجمة الفرنسية لخواطر الجبرتى المسلم عن حملتنا فى مصر وفى حال تنبيه وتحذير العساكر الفرنسيين فى مدينة الجزائر من السهولة التى يتعاملون بها مع المنهزمين – فى حال تحقق ذلك فإننى لن أندم على سهر الليالى التى قضيتها فى إنجاز هذه الترجمة**". هل نفهم من هذه الجملة أن ترجمة الجبرتى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسياسية الاستعمارية الفرنسية؟ فقد تم نشر الترجمة فى عام 1838، وهو تاريخ قريب من سقوط مدينة الجزائر فى أيدى الفرنسيين وهو تاريخ أيضاً انتهاء حكم الملك شارل العاشر فى فرنسا وبداية حكم الملك لويس فيليب الذى سمح للبرجوازية فى فرنسا للصعود وقد سُمى هذا الملك، بـ "ملك أصحاب المصانع والبنوك والتجارات الكبيرة". وقد تم فى عهده سحق العمال الذين حاولوا أن يثوروا لمرتين متتاليين وقد كانوا مصدر قلق للحكومة الفرنسية إلا أنها استطاعت أن تنقلهم إلى الجزائر والتخلص منهم فى هذه المستعمرة. ومع انتعاش الرأسمالية، كانت الصناعات المختلفة فى حاجة إلى مواد خام لتصنيعها وأسواق مختلفة لتوزيع منتجاتها. وقد وجدت فرنسا فى الشرق وبخاصة فى الجزائر كل هذه الإمكانيات.

الدراسة المقارنة:

ونود أن نبدأ أولا بدراسة الكلمات المستعارة Les emprunts من اللغة العربية أو التركية والتى تم استعمالها فى الترجمة الفرنسية. وهناك نوعان منها كلمات معروفة

للجمهور الفرنسى، وأخرى ليست معروفة. ويمكن الاستشهاد للمجموعة الأولى بالجملة الآتية:

"وحضر الباشا والعلماء ورؤوس الناس" [الجبرتى ص185].

Cardin P.8 "... le pacha, les ulémas, et les grands...".

نلاحظ مثلاً أن هناك كلمات قد استخدمت بالفرنسية وقد تم استخدامها مثلاً من قبل الكاتب فولتير فى زاديك إلا أننا يجب أن نؤكد أنه بالرغم من أن هذه الكلمات دخلت فى الفرنسية إلا أنها فى اللغة الفرنسية أصبحت لها ايحاءات connotations معانى أخرى مختلفة عن العربية.فكلمات Le pacha أو les émirs تمثل أنواع من الكلمات المستعارة، تم إدخالها فى أدب القرن الثامن عشر، بينما "العلماء" و "القاضي" فى الثقافة العربية يمثلون مصادر الاحترام والعلم على حين أنهم فى العقل الفرنسى هم ممثلو الجهل وضيق الأفق ignorance et obscurantisme.

إذا تناولنا المجموعة الثانية أى الكلمات المستعارة غير المعروفة للقارئ الفرنسى نلاحظ عن طريق هذين المثلين أن المترجم لم يقم بشرح لهذه كلمات، الجبرتى فى الهوامش، وعند رصد الكلمات التركية وجدنا أن 49 من 61 كلمة هى فقط التى تم ترجمتها للفرنسية:

"فعندما خرج أهل الثغر وما انضم إليهم من العربان المجتمعة وكاشف البحيرة". الجبرتى ص180.

Cardin p.6:

"les habitants d'Alexandrie et le Kiachef de Behireh, ajoutés aux Arabes ont voulu leur opposer résistance"

(أراد سكان الإسكندرية وكاشف البحيرة والعرب أن يقاوموهم)

وفى هذه الجملة يمكن للقارئ أن يستنتج المعنى عن طريق سياق الجملة. ولكن لماذا لم يقم كاردن بإضافة الشرح؟ هل كان يعلم معناهم أم كان يجهلهم؟ لقد وجدنا أيضاً نوعاً آخر من الترجمات التى سميناها أخطاء الفهم erreurs d'incompréhension ويقول الجبرتى عن إبراهيم بك : **"وتولى ذلك هو صناجقة وأمراؤه وجماعة من خشداشينه"**.(ص 185)

Cardin P.10:

"... Ibrahim Bey (...) s'y retourna avec son armeé, les habitants de Hachdachina (village)".

(وقد أقام فيها إبراهيم بيه مع جيشه ومع سكان الخشدانية" ويضيف المترجم بين القوسين (قرية).) ونجد فى قاموس دوزى Doz [2] أن خشداشينه تعنى "مملوك بصحبة مملوك آخر، يقوم بخدمة شخصية مهمة" إذًا اصطلاح خشداش يعنى رابطة الزمالة فى خدمة السيد المملوكى (الأستاذ) ؛ و من ثم ليس المصطلح دال على اسم قرية كما ذكر كاردان. ولقد وقع أحياناً المترجم فى المعانى العكسية بسبب الجهل بالواقع المحلى أو الديني: الجبرتى ص181.

" وأما ما كان من حال الأفراد بمصر فإن إبراهيم بيه ركب إلى قصر العينى".

Cardin p.8:

"Ibrahim Bey monte à cheval, arrive au Kiosk appellé Aini."

(ركب إبراهيم بيه حصانه وتوجه إلى الكشك المسمى العينى)

إن الترجمة التى أعطاها كاردان لكلمة قصر kiosk بينما كان يجب أن تترجم بقصر لأنه فى عام 1898 كان للقصر العينى معنى مختلفاً تماماً عن معناه فى عام 1838. (تاريخ نشر الترجمة).

قصر العينى فى سنة 1798 فى النص الجبرتى يشير إلى قصر من قصرين كانا ملكاً لإبراهيم بيه،[3] وقد سمى هكذا لأنه فى الأصل كان يملكه مملوك شرعى يدعى

"عينى" وقد أصبح بعد ذلك من ممتلكات إبراهيم بيه، وأثناء الحملة الفرنسية استخدمه بونابرت كمستشفى لعلاج الجيش الفرنسى وفى 1825، أنشئ محمد على فيه مدرسة الطب. فهذه الترجمة تعتبر خطأ لغويا وخطأ تاريخيا فى معرفة المترجم بالواقع المصرى آنذاك.

هناك الأخطاء العكسية Contre -sens

ومنها "أن الوزير أمر المصرلية بتغيير زيهم وأن يرتدوا زى العثمانية".

الجبرتى ص 505.

P. 245

"Le grand vizir força, les Egyptiens à porter le costume truc".

ففى النص الأول، يسمى الجبرتى المماليك وذلك فى بعض فقرات "بالمصرلية" وكان هذا الاسم يطلق عليهم من قبل عامة المصريين. وقد وقع كاردان فى الخطأ لترجمته إلى "المصريين". أن النص العربى يؤكد أن الوزير التركى أمر المماليك بخلع ملابسهم وأن يرتدوا ملابس الترك، كعلامة تبعية وخضوع لهم لكن كاردان قدم لنا معنى مختلفا تماما لأنه حول المماليك إلى مصريين، وأضاف أن الوزير التركى أمر المصريين بترك الزى التركى،الأمر الذى يبدو غير منطقى بالمرة. وثمة نموذج آخر يقو فيه الجبرتى: "بعد أن طلب بونابرت من الشيخ السادات أن يرتدى الكوكارد ارتداها الشيخ ثم خلعها عند خروجه من القاعة"..."**فلما خرجا من عنده رفعه على أن ذلك لا يخل بالدين**"[الجبرتى ص204].

Cardin p2

"Quand il fut dehors, il ota cette cocarde parce que c'est contraire à la religion".

(عند ما خرج خلع الكوكارد لأن ذلك يتنافى مع الدين).

ففى النص العربى يشرح الجبرتى أن ارتداء الكوكارد لا يتنافى مع الدين، على حين أظهرت ترجمة كاردان عكس ذلك، هذا بالإضافة إلى أن النص الفرنسى جعل

الجبرتى يبدو وكأنه مؤيد لموقف السادات. وبالنسبة للأسماء الأعلام وجدنا أن هناك نوعين من أسماء العلم أسماء شرقية يعرفها القارئ الإسكندرية. (ص89)

ومثل أخرى جديدة على القارئ الفرنسى مثل: السيد محمد كريم seid-Mohamed –Koureim (ص179).

إن استخدام الشرطةtrait d'union بين الاسمين هنا يثير الدهشة ؛ لأننا نعلم أن لها استخدام خاص وهو فى الأسماء المركبة مثلا، ولكن هنا يضعها المترجم بين الاسم واسم الاب ولقب للاحترام.

وإذا انتقلنا إلى الأخطاء التى تظهر على مستوى الجملة نرى أن هناك تغييرات مختلفة. تغييرات بالإضافة إلى أننا قسمناها إلى "إضافات شرعية" و"إضافات غير شرعية". فالجبرتى مثلا يذكر العبارة التى جاءت على لسان الإنجليز **"فربما دهموكم فلا تقدرون على دفعهم ولا تتمكنوا من منعهم"**. (ص171)

Cardin p6

"Ils viendront peut- être à l'improviste".

(ربما يأتوا فجأة ولن تستطيعوا إبعادهم وحدكم نحن هنا لنقدم مساندتنا).

إن النص العربى لا يذكر كلمة بهذا المعنى إلا أن المعنى ضمنى لا يقدم كاردان هنا إلا التأكيد بشكل واضح على المعنى وقد وجدنا خمسة أمثلة فقط من الإضافات الشرعية، أما الإضافات غير الشرعية فنلاحظ أن عددهم أحد عشر مثالا يدورون حول صورة ثلاث جنسيات.

صورة المصريين (5 أمثلة).

صورة المماليك (3 أمثلة).

صورة الفرنسيين (3 إضافات).

فمثلا بالنسبة لصورة المصريين يتحدث الجبرتى فى هذه الجملة عن مسألة الورث: **" فقال ميخائيل كحيل الشامى وهو من أهل الديوان أيضا نحن والقبط يقسم لنا مواريثنا المسلمين "** (ص217).

ومن خلال استخدام كلمةNation للأقباط فإنه يعنى أنهم مثلوا كيانا مختلفا ومستقلا عن باقى المصريين مثلهم مثل الشوام، على حين أن الشوام لديهم عادات وتقاليد مختلفة وأصل مغاير، بينما ذلك لا ينطبق على الأقباط، فهل يمكن هنا أن نرى نوعا من سوء النية من قبل المترجم فى محاولة منه لتمييز الأقباط عن باقى المصريين،خاصة أنه كان من الممكن أن يترجم"**نحن والأقباط**" وقد قام أيضا بترجمة" المسلمين" بعبارة "**القانون التركى**" وذلك يعتبر خطأ خطيرا، ولطالما شاع فى الأدبيات الأوروبية ترجمة "مسلم "على أنها" تركى".

بالنسبة لصورة المماليك يمكننا أن نرى أن هناك تأكيدا على بعض الأفكار مثلا: "**وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هى لم يأخذوا منها شيئا فإما إبراهيم بك والباشا والأمراء فساروا إلى جهة العادلية** "(الجبرتى ص 190).

Cardin p. 34

« Ibrahim –Bey et le Pacha s'enfuirent à toute bride ,en abandonnant leurs tentes et leurs bagages ».

(هرب سريعا إبراهيم بك والباشا تاركين خيامهم وأمتعتهم)

قام كاردان هنا بحذف الوجود المصرى كاملة من الجملة بينما النص العربى أشار إليهم وأضاف أفعالهم إلى المماليك" ترك الخيام والمتاع"، بينما يفصل النص العربى رد فعل سكان مصر عن المماليك بكلمة " أما" التى تعبر عن التقابل بين رد فعلين مختلفين إلا أن المترجم لم يرض بهذا الحذف والتغيير فقد قام أيضا بإضافة "سريعا" لإبراز جبن المماليك وهى نقطة سيؤكد المترجم عليها كثيرا أما بالنسبة لصورة الفرنسيين فقد راعى المترجم تحسين صورة الفرنسيين كلما أتاحت له الفرصة:

فمثلاً (الجبرتى ص 240): "**فنهب الفرنسيون ما وجدوه بالبندر من البن والمتاجر والأمتعة وغير ذلك**". نجد النص المترجم:

(Cardin p.69)

« Les Français ,trouvant la ville déserte , s "étaient emparés des cafés et marchandises qu"ils avaient trouvés ».

(عندما وجد الفرنسيين المدينة خالية أخذوا القهاوى والبضائع التى وجدوها)

فقد أضاف المترجم الحجة "خلاء المدينة" من السكان حتى يبرر ويشرع سلب الفرنسيين لها. ويلاحظ أن المترجم لجأ إلى الحذف، ويمكن تصنيف الحذف إلى أنواع "بالإيجاز" والحذف والإيجاز معا عددهم 16 مثلا، وهناك حذف جهود المماليك مثل مراد بك فى صراعه ضد الفرنسيين.

"حضر مراد بك إلى بر إمبابة وشرع فى عمل متاريس هناك ممتدة إلى بشتيل (...) واحتفل فى ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه (....) " (ص185).

Cardin p.10

Murad –Bey vint Embaba, ,y fit construire des" retranchements jusqu'à Bechtil".

(جاء مراد بك إلى إمبابة وشرع فى بناء متاريس حتى بشتيل (....).

أى حذف اهتمام مراد بك لإجراءات الدفاع. مرة أخرى يقلل من جدية وأهمية المقاومة ضد الاحتلال الفرنسى، وقد تم حذف مثلين من هذه النوعية. وقد رأينا سابقا كيف قام المترجم بإضافة جمل لتحسين صورة الفرنسيين.

نلاحظ أيضاً أن نص الجبرتى وترجمته الفرنسية لا يملكان نفس المتلقى: فالجبرتى يحكى تاريخ مصر للمصريين، وذلك بهدف تربوى. بينما المترجم كاردان يترجم جزءا جزءاً منه لجمهور فرنسى بهدف استعمارى واضح وصريح[4].

ويلاحظ أن كل الجمل التى تضفى على الفرنسيين شيئا سلبيا قد تم حذفها ؛ فعلى سبيل المثال: (بينما يقول الجبرتى ص227) "وفى وقت الحادثة هجمت على الدار العامة ونهبوها وقتلوا منها بعض الفرنساوية وفر الباقون " نجد كاردان يترجمها على النحو التالى:

Cardin p.55

« Lors de cette dernière,le peuple assaillit sa maison et y tua quelques soldats ».

(فى هذه الحادثة هجمت العامة على بيته وقتلت بعض العسكر).

ومن الواضح أن الجبرتى يتحدث عن " بعض الفرنساوية"،الأمر الذى أبدله كاردان "ببعض العسكرية" وقد حذف أيضا باقى الجملة ألا وهى" **وفر الباقون**" و"**الفرنسيين هربوا**". إن عدد الجمل التى تم حذفها تدور حول الفرنسيين والتى تصل إلى 32.

ثمة أيضا حذف لوثيقة قدمها الجبرتى ألا وهى منشور بونابرت إلى المصريين والتى تشغل ثلاث صفحات وقد تم حذفه كاملاً، إلا أن كاردان لم يكن الوحيد الذى حذفها فهناك أيضا سلفستر دى ساسى فى أول طبعه لكتابه، وقد اعترف دى ساسى بذلك حيث كتب يقول: " لقد خشيت أن ألام على نشر هذا المنشور الذى يتباهى فيه بونابرت، قائد الجيش الفرنسى بأنه هدم كرسى البابا خاصة أنه كان قد أبرم اتفاقية مع البابا لذلك فقد حذفت الورقة من النص العربى."[5]

إن نص كاردان الذى تم نشره عام 1838 يرتبط بزمن معين وهو الزمن الذى كانت فيه فرنسا تحكمها الملكية الدستورية والتى كانت تساندها الكنسية؛ فذلك الحذف يمكن أن نطلق عليه "الحذف الرقابى" لأنه قد تم بسبب سياسة فرنسا آنذاك، ويمكن أيضا تفسيرها برغبة قوية فى المحافظة على صورة الفرنسيين فى إطار الخط العام لاستراتيجية التعامل مع التاريخ الفرنسى.

نلاحظ أن هناك أنواعاً أخرى من الحذف والذى نتج عنه تقليل كم المعلومات الموجود فى النص الأصلى فخطورة هذا الحذف أنه يخفى للقارئ الفرنسى النص الحقيقى للجبرتى، وهو أيضا يعطى صورة خاطئة عن معاصرى بونابرت وتنتج التعديلات عن وجود عمليات مختلطة من الحذف والإضافة، وقد تحققنا من حذف المترجم لجزء من الجملة وأحيانا الجملة كلها، ثم أضاف أخرى ويمكن تصنيفها إلى تبديلات خاصة بدقة المعلومات، فبالنسبة للتقويم الذى قدمه الجبرتى، نلاحظ أن كاردان فضل تعديله بتواريخ أخرى لإضافة شىء من الدقة والوضوح.

"ثم ورد فى ثالث يوم بعد ورود المكاتبات الأولى مكاتبات مضمونها (....)" (الجبرتى ص180).

Cardin p.5

" Le mercredi 13 Mouharrem ".

(الأربعاء 13 من محرم)

قدم كاردان اليوم مضافا إليه الشهر لمزيد من الدقة ؛ذلك أن الجبرتى ذكر قبل ذلك تاريخ "10 من محرم". ويصل عدد التبديلات من هذا النوع إلى 33 مثلا وهناك أيضا تبديلات أخرى قام بها المترجم لإعطاء عدد من الأفكار إلى المتلقى الفرنسى عن سكان مصر والتى تصل إلى خمسة أمثال، منها:

" فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقى القتال خرج العامة والغوغاء والرعية واخلاط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم يارب يالطيف ويا رجال الله ونحو ذلك. " الجبرتى ص188

Cardin p.13

« Les troupes du rivage oriental en voyant le combat commencé se mirent à pousser des cris: Dieu tout puissant,s'écriant –ils ,accorde nous la victoire sur les Français ».

(وعندما رأت فرق الضفة الشرقية أن المعركة قد بدأت أخذوا يصيحون يارب يا قوى، انصرنا على الفرنسيين).

يذهب النص الفرنسى إلى أبعد من النص الأصلى، فالمصريون يطلبون من الله النصر بينما فى الواقع الجبرتى يظهرهم وهم يطلبون من الله اللطف بهم، وذلك يعكس صورة المسلمين كما يتخيلها الفرنسيون وكما نراها فى المنشور الأول لبونابرت إلى الفرنسيين.

وهناك أيضا تعديلات تدخل لتغيير صورة المماليك فمثلاً: يتحدث الجبرتى هنا عن المماليك قائلا:

" وبقيت القتلى والثياب والأمتعة والأسلحة والفرس ملقاة على الأرض ببر إمبابة تحت الأرجل " ص189.

Cardin p.14

" Murad –Bey se sauva à Djizé entre dans son palais y resta un quart d'heure et prend le chemin de la Mecque ,laissant à Embaba ses effets ,ses armes et ses tentes".

فوجود متلقيين مختلفين يثير عددا كبيرا من الصعوبات بسبب الحضارتين المختلفتين: يجد المترجم نفسه أمام كلمات تدل على أشياء محلية ليست لها وجود فى الذهنية الفرنسية. فيلجأ إلى الكلمات المستعارة وقد وجدنا أن عدد ثمانى كلمات لم يتم إعطاء القارئ معناها، أحياناً أخرى، يحاول كاردان البحث عن كلمات بديلة mots équivalents (وقد ارتفع عددها إلى 30 كلمة بديلة، وقد وجدنا أنها لم تكن فى الواقع بديلة).

وقد أخطأ المترجم 19 مرة فى ترجمته للكلمات، وقد لجأ المترجم إلى حذف بعض الكلمات، كل هذا يعكس جهلاً ما بالحضارة الشرقية. إن دراسة أسماء العلم من أسماء الأشخاص أو الأحياء أو المدن الشرقية توضح أن كاردان لم يتبع طريقة واحدة فى كتابة الكلمات transcription. وقد وجدنا أيضاً أن هناك عددا من التحريفات (خمسة تحريفات شرعية أحد عشر تحريفا غير شرعية)وقد لاحظنا أن صور المماليك والمصريين قد تم إعطاؤها شكلا سلبيا.

إن دراسة الجمل أتاح لنا الفرصة أن نعين التشوهات المختلفة على مستوى الجملة مثل الإضافة(5 شرعية و 11 غير شرعية)وتدور حول صورتين متناقضتين: تم تشويه صورة المماليك والمصريين مقارنة بصورة الفرنسيين. أما الحذف فقد وجدنا أن هناك 34 جملة محذوفة. أما الجملة البديلة فقد بلغ عددها 26 جملة وهما يستجيبان إلى نفس مقاييس الجملة المضافة.

وقد وجدنا أن هناك نوعا آخر من التغير على النص ألا وهو إبراز بعض الكلمات

باستخدام الخط المائل Italique، إن الخط المائل فيه شد انتباه القارئ الفرنسى إلى شيء يريد المترجم إبرازه. (أى إن كان اسم ترجع إلى وقائع شرعية، أو أحاديث الرسول (ﷺ) أو البسملة الموجودة فى بعض منشورات بونابرت للمصريين، أو بعض الجمل المأثورة Citations التى قيلت على لسان الشعب المصرى والذى يحاول كاردان أن يميزها).

لقد استطعنا عن طريق دراسة بيان الجبرتى énonciátion التحقق من أن ظهور الآخر la non -personne قد خضع إلى تشوهات عديدة. أما الآيات القرآنية التى استخدمها الجبرتى فى نصه والتى أصبحت جزءاً من بيانه énoncialtion.فلم يتم الإشارة إليها على أنها نص مأخوذ من القرآن، فمع ترجمة الآيات إلى الفرنسية لا يستطيع القارئ الفرنسى أن يتعرف عليها على أنها آيات قرآنية. وقد تم تلخيص الصفحات الخاصة بالوفيات. ولم يحاول المترجم احترام أسلوب الجبرتى، ويمكن تفسير ذلك أن ما كان يهمه هو مضمون النص نفسه أو الحملة الفرنسية.

ولكن ما هو تأثير هذا النص على القارئ خاصة أن كل ما فى النص من مقدمة أو صورة ما قبل المقدمة أو الهوامش؟ إن صورة الجنسيات المختلفة الموجودة قد تم إخضاعها لنوعٍ من الرقابة الأيديولوجية؛ لدرجة أننا وجدنا أنفسنا أحياناً أمام صورتين متناقضتين فى النص المصدر والنص الهدف.

إن الإنجليز والترك والمماليك والمصريين، قد تم تقديمهم بسلبية مقارنة بالفرنسيين. أما آراء وتقسيمات الجبرتى فقد تم تحريفها، وينطبق ذلك أيضاً على نص نيقولا ترك (المسيحى الشرقى) وإن كان لابد من التأكيد على أن المصريين والفرنسيين هم الذين حدث لهم الجزء الأكبر من التحريفات. إذا فسرناهم طبقاً لمقدمة B ianchi وكذلك مقدمة كاردان، حيث يقدم نص الجبرتى كنص مفيد للفرنسيين فى الجزائر. وذلك يؤكد الهدف الاستعمارى لهذه الترجمة.

ومن الغريب أن نرى كاردان، غير راض بالتحريفات التى أدخلها على النص نفسه، وإذ قيَّم نص الجبرتى الذى يقدمه بشكل سلبى، بعيد كل البعد عن الصدق

غالباً ما بيّن تشويه الأحداث. فقد رصدها من خلال ظواهرها ومعتقده. فلا يمكن اعتبار هذا النص وثيقة تاريخية". إن الجمهور لا يمكن....

إن التحريفات التى اكتشفتها فى النص المترجم لا يمكن أن تفسر عن طريق المعادلة الشهيرة **"الترجمة هى خيانة للنص"**، لأن كاردان تجاوز كثيرا فى المضمون الذى صاغه للقارئ الفرنسى. فمن الواضح أن هناك رغبة واضحة فى إبعاد النص الأصلى للمؤرخ المصرى عن القارئ الفرنسى.

ورصدت الدراسة العديد من الأخطاء فى المعنى والتى تبين بشكل واضح نوعية التكوين الذى حصل عليه المترجم، إلا أن هذا النوع من الأخطاء يعتبر عددها قليلا بالنسبة للأخرى. إن التحريفات التى ظهرت تعكس بلا شك عملاً من أعمال الرقابة. إن المترجم الفرنسى قام بعمل نوع من adaptation لنص الجبرتى إلا أننا نعلم أن ذلك قد يكون جائزا بالنسبة للنص الأدبى وليس بالنسبة للنص التاريخى.

ويحق لنا أن نتساءل:عن أى منتصرين كان يتحدث المترجم؟ إن الفرنسيين خرجوا من مصر منهزمين وليسوا منتصرين كما يبينه المترجم، فهو يحول بفعل الكلمة الهزيمة إلى نصر بقدر ما يحرف الواقع.

فنحن أمام معرفة خاصة يحاول كاردان أن ينشرها "والخطر أن هذا النوع من النصوص قادر على خلق ليس فقط نوعاً من المعرفة، ولكن ايضاً الواقع الذى يصفه. ومع الوقت تقدم هذه المعرفة وهذا الواقع تقليداً وهو ما يسميه الأستاذ فوكوه خطاباً".

إن كاردان يحاول أن يقدم نص الجبرتى لخدمة الاستعمار وهو هنا يؤكد وباعترافه بنفسه "أن الاستشراق فى خدمة الاستعمار". ومن الواضح أن مستعمرى الجزائر قد اتبعوا نصائح كاردان ويكفى أن نذكر سحق المتمردين الجزائريين. ودلالة التحريفات الواعية التى طرأت على النص العربى تعكس بلا أدنى شك رغبة فى تأكيد صورة تلائم الأيديولوجية الفرنسية الاستشراقية فى القرن 19 ؛ حيث نرى الإنسان الغربى متفوقا وأعلى دائماً من الشرقى.

هل هذه الترجمة تشبه كتابات الفرنسيين مثل La Jonquiére أو غيره؟ وإن الترجمة المحرفة تقدم صورة شديدة الإيجابية للفرنسيين، والأمر واضح بالنسبة للنصوص الفرنسية لأن هدفها سرد المشاكل التى قابلوها. أما النص الجبرتى "المحرف" فهو يحكى مشاكل المصريين.ولكن من الذى قرأ هذه الترجمة؟ وما مدى نجاحها؟ من الصعب الإجابة على هذا السؤال لأننا لم نستطع معرفة رد فعل الجمهور الفرنسى. إلا أن المستشرقين يذكرونها كنص حقيقى فيمكننا أن نذكر جاستون فيت فى مقدمته للكتاب" مذكرات عن الحملة الفرنسية" يتحدث عن المترجم كاردان بهذه الكلمات:"أول مترجم للجبرتى". فقد أعطاه نوعا من المصداقية، وهذا يعنى أنه يشيد بإيجابية بالترجمة أو على الأقل لا ينتقدها. أما موسوعة الإسلام فتقدم نص كاردان "ترجمة الجبرتي" دون نقد بينما ترجمة 1888 التى قام بها بعض المصريين ووصفت بأنها غير دقيقة وسيئة ويحذر من استخدامها. ومن المعروف قوة تأثير رأى هذه الموسوعة على القارئ الفرنسى.

إلا أننا لاحظنا أن الترجمة المصرية، تحوى هى الأخرى العديد من الأخطاء ولكن أخطاء تختلف عن أخطاء كاردان. فالتحريفات فى هذا النص تظهر فى "صورة الأتراك" وليس "صورة الفرنسيين"؛ لأنها قد تمت على شرف إحدى أحفاد محمد على وابنه الخديو توفيق ثم عباس الثانى.

يعد جوزيف كويك الوحيد الذى انتقد ترجمة كاردان (فى مقدمته لترجمة الجبرتى وقد فارق بينهما ولكن قد أتم ترجمة كل الموسوعة).

إن الترجمة التى قام بها كويك المتخصص فى تاريخ نابليون فى العناوين الداخلية، وتاريخ الميلاد وقد وضع كل أدوات الاستقبال الأكمل لنص الجبرتى، ومن الواضح أن كويك يعلم جيداً الواقع المصرى. على أن كل الإضافات قد تم وضعها بين قوسين، وهى العلامة التى تبين أن هذه إضافة المترجم.

هل هذه الترجمة الجديدة(1979) هى بداية لمدرسة جديدة حيث الشرق يُدرس

بكل تفاصيله الحقيقية؟ وهل هى تعنى رفض هذا الاستشراق القديم الذى لا يعكس الحقيقة؟ وهل هناك استشراق جديد حيث العلم منفصل عن السياسة؟

إن هذه الأسئلة يمكن أن تجد إجابة لها فى التغير الملحوظ الذى طرأ على الذهنية الفرنسية فى النصف الثانى من القرن العشرين، إذ إن ما كان مقبولاً طوال القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الثانية لم يعد له مصداقية عند المؤرخين الفرنسيين المعاصرين.

ثانياً: نص ترجمة نيقولا الترك

بداية لابد أن نشير إلى أن نص نيقولا ترك قد تم ترجمته إلى الفرنسية ثلاث مرات: الأولى سنة1838 وقد ترجمها كاردان، والثانية سنة 1839 (أى بعد عام واحد من ظهور ترجمة كاردان) [6] وتم ترجمتها عام 1950 من قبل المستشرق الشهير جاستون فيت[7]. ويُلاحظ أنه فى الترجمتين الأوليين، اكتفى المترجمان بنقل الجزء الخاص بالحملة الفرنسية، أما الترجمة الثالثة والأخيرة لجاستون فيت فقد ترجم نص نيقولا ترك كاملاً.

يعترف كاردان فى المقدمة، أنه يقدم ملخصاً لنص نيقولا ترك. ويعرفه للقارئ الفرنسى فهو أحد الأتباع المخلصين للأمير الدروز. ويؤكد كاردان أن الدروز يدعوا أنهم من أصل فرنسى.

وقد ترجم مقدمة نيقولا ترك فى حين أنه لم يقم بترجمة مقدمة الجبرتى؛ ويمكن تفسير ذلك بأن مقدمة الجبرتى كانت تسبق النص الكامل للجبرتى، والصفحات التى يسرد فيها الحملة الفرنسية ليست إلا جزءاً صغيراً فيها. بينما مقدمة نيقولا ترك تسبق مباشرة نص تقريره عن الحملة الفرنسية.

والملاحظ أن ترجمة كاردان لنيقولا ترك أكثر التزاماً بالنص من ترجمة الجبرتى. ولو أن ذلك لا يمنع من وجود بعض التحريفات، ويأتى فى مقدمتها حذف بعض الجمل والعبارات: فمثلاً نلاحظ تعمده حذف ثلاث صفحات كان نيقولا ترك

يصف فيها أمجاد بونابرت العسكرية ويمدح عبقريته العسكرية. والسؤال: لماذا قام بحذفها؟ ربما لأنها أمجاد لم تكن فى بلاد شرقية؟. سنحاول أن نصف صور التحريفات والتشويهات المختلفة التى تظهر عبر النص المترجم:

صورة الإنجليز: لقد تم تحريف مثلين فقط لا غير.

المثل 1: يتحدث فيه نيقولا ترك عن انتصار الإنجليز فى أبو قير ويقول:

[ص 14] "وانتصرت عمارة الانكليز على العمارة الفرنساوية" وقد تم ترجمتها هكذا:

P14 "Les Anglais furent vainqueurs"

(وانتصر الإنجليز) ويلاحظ هنا أنه حذف "على العمارة الفرنساوية"، الجار والمجرور.

صورة المماليك

أطلق نيقولا ترك على المماليك أكثر من اسم:

- "الغز" 47 مرة.
- "المماليك الغز" 23 مرة.
- "الغز المماليك" 20 مرة

ماذا تعنى كلمة "غز" يقول دوزى Dozy فى قاموسه أنها جمع "غزى" التى تعنى قبيلة تركية والكلمة تم إطلاقها على الكرد. أما فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر، جاءت فرقة الغز إلى مصر مع قراقوش. وهم رماحين، ورجال شرطة مسئولون عن حرق المساجين وجلدهم وقطع رؤوسهم.[8] وإذن عندما يطلق نيقولا ترك على المماليك كلمة "غز" فهو يؤكد على أنهم غرباء عن مصر. وهذا يوضح أن هناك جانباً سلبياً، خاصة أننا نتذكر أن الجبرتى كان يسميهم إما "الأمراء" أو "الأمراء المصرلية"، فقد كان الجبرتى يعتبرهم جزءًا من صفوة العلماء المقربين من

الصفوة العسكرية المملوكية. فقد تم ترجمة هذه التسمية الخاصة عند الجبرتى وكاردان بنفس الكلمة "Les Mamelouks".

هناك تحريفات أخرى قُصِدَ بها تقليل وقع الهزيمة والصورة السلبية للفرنسيين: مثال ذلك بعد إلغاء اتفاقية العريش يسرد نيقولا ترك على لسان الجنرال الإنجليزى Smith [ص 78]. "وتنزلوا أسارى مقيدين بمراكب".

فقد اختار كاردان أن يلغيها تماماً من النص. وذلك حتى لا تُظهر الفرنسيين بشكل سيئ.

صورة الأتراك

" [ص 56] وأن العمارة هى عثمالية لا ريب فيها." وقد ترجمها كاردان بـ

p.34 "L'armée était composeé de musulmans".

إننا لا يمكننا نفى إسلامية الأتراك، ولكن استخدام كلمة "musulmans" بدلاً من "ottomans"، تعطى بعداً آخر لجملة نيقولا ترك، المسيحى الذى يتحدث عن المسلمين. أما فيما يخص صورة المماليك عند نص نيقولا ترك، فنلاحظ أنها ليست جيدة مثل صورتهم عند الجبرتى. إلا أن المترجم لم يضف صفة "جبناء". ولكن يظهر التحريف على مستوى آخر :

المثال الأول:

يعلق نيقولا ترك على حروب المماليك "وهربت الغز لأن نار الفرنساوية لا تطاق، وحربهم من المذاق الصعب ولهم فنون كثيرة فى الحروب التى لا تدركهم الغز ولا العربان، لأن الغز والعربان ما عندهم سوى السيف والرمح والخيل والفرنساوية كانوا نفوسهم فى النار عريقة وكان لهم شجاعة (...) بل دايما كانوا منتصرون". [ص32]؛ ويترجم كاردان هذه الجملة:

p.21

"Ils se sauvérent en s'écriant "que leur guerre est amère! Aucun peuple

n'a atteint la perfection de leur lactique , nous savons manier le sabre, la lance, le cheval. Les français s'entouent d'un feu continuel et Trouvent la mort de sang-froid: noues ne les avons pas vu reculer une seule fois":

(هربوا وهم يصيحون: كم مُرة هى حربهم! لم يصل أحد إلى هذا الكمال فى التكتيك العسكرى، أننا نعرف كيف تستخدم الرمح والسيف والخيل. إلا أن الفرنسيين دائماً ما تكون حولهم نار وحرب وهم يلقون الموت بشجاعة، ولم نرهم قط يتقهقرون أمام عدوهم"

يلاحظ هنا أن كاردان أورد كلمة نيقولا ترك (المعجب بالفرنسيين) على لسان المماليك؛ وبذلك التحريف نجد أنفسنا أمام جماعة المماليك وهى تُقيّم نفسها، كمحاربين أقل من الفرنسيين.

وهناك فى النص الفرنسى إضافة أخرى ألا وهى وجود الخط المائل: فاعترافات المماليك تظهر بالخط المائل l'italique لكى يتم إبرازها لدى القارئ الفرنسى.

صورة الأقباط:

فى رواية الجبرتى، تم اتهام بعض الأقباط بالتعاون مع الفرنسيين، فالجبرتى لا يوافق على سلوك العامة تجاه الأقباط. إلا أننا لا يمكن أن ننفى أن الجبرتى كان يعتبرهم فى مرتبة أقل من المسلمين؛ لكن كيف قدمهم نيقولا ترك؟ لقد وصفهم بموضوعية ملحوظة. وبرغم أن الروايتين عند الجبرتى ونيقولا ترك قد تبدو متطابقتين إلا أن هناك اختلافا واحدا لنص نيقولا ترك عنهم، فهو يقول:

" وأول ما كان من أمر النصارى فوقع عليهم وهن عظيم وخوف جسيم وبدوا الإسلام يتطاولون بالقتل والسلب".[13] فالممارسات السلبية ضد الأقباط فى رواية الجبرتى تم نسبها إلى (العامة)، بينما نيقولا ترك ينسبها إلى كل المسلمين باستخدامه كلمة (الإسلام)، وهكذا يتم المبالغة فى الاضطهاد.

إن استخدام هاتين الكلمتين يمكن شرحهما بهوية كلا الروايتين فالجبرتى،

الشيخ المسلم، الذى يعد من الصفوة المثقفة، يشرح هذه الممارسات عن طريق جهل العامة. أما نيقولا ترك، الغريب عن المجتمع المصرى، فهو لا يرى تفاصيل الطبقات المختلفة للمجتمع المصرى كما يراها الجبرتى: العلماء/ أهل البلد/ العامة/ الحرافيش.

فعند نيقولا ترك لا نرى إلا "أهل البلد" أو "الإسلام". ومن الطريف أن كاردان ترجم كلمتى "العامة" عند الجبرتى و"الإسلام" عند نيقولا ترك بكلمة واحدة "les musulmans" (المسلمين). وهكذا تصبح الروايتين متطابقتين: والاقباط فى النصين المترجمين يصبحون مضطهدين.

العلماء:

إن الصورة التى تظهر للعلماء من خلال رواية نيقولا ترك ليست مختلفة عن صورتهم عند الجبرتى. إلا أن رواية الجبرتى تحمل تفاصيل أكثر، وذلك منطقى نظراً لأن الجبرتى كان من العلماء، فكان يعرفهم أكثر.

أما فى الترجمة فهى ليست واحدة. والأمثلة الآتية تؤكد ذلك:

مثل 1: يقول بونابرت للعلماء بعد ثورة القاهرة الأولى: "أيها العلماء إننى كنت أظنكم أناس عقلا على شيخوختكم وكبر سنكم. والآن قد تحققت أنكم أناس جهلا قليلى العقول" [ص89].

عند كاردان، تحولت هذه الجملة إلى:

p.51 "Je me plaisais à croire qu'en votre qualité de docteurs de la loi et en vertu de l'expérience d'un âge avancé, je trouverai en vous des hommes éclairé et prudents; j'ai acquis la malheureuse conviction que vois n'êtes que des fous aveuglés pas le fanatimse.

ومثل آخر: [ص 90] "ولكن من حيث أن هذا صادر من عنادتكم وجهلاكم فقد صفحت عنكم".

وقد تم ترجمتها هكذا:

p.52 "Je veux bien croire que vos avez été aveuglés par votre fanatisme et votre ignorance.

وهكذا، تظهر كلمة "fanatisme" التى تعنى "تعصب" بشكل متكرر. بينما نيقولا ترك يذكرها على لسان بونابرت.

صورة المصريين

لقد ذكرنا سابقا أن نيقولا ترك يستخدم كلمة "أهل البلد" أو "الإسلام" ليتحدث عن المصريين.

وتظهر الكلمة الأولى أكثر (260 مرة) بينما الثانية تظهر 23 مرة وكلمة "الإسلام" يستخدمها عندما يذكر الأقباط مثلاً:

[ص 17]

"وفى غضون ذلك طلب من تجار البهار الإسلام ألف فرانسا سلفة وطلب من طايفة الأقباط مباشرين الأقاليم وكتبه البلاد مايتين ألف فرانسا سلفة" .

يترجمها كاردان:

"Pendant ce temps, on demande aux marchands musulmans d'épices 200.000 francs francais comme emprunt, et des coptes..."

أما بالنسبة لكلمة "أهل البلد" [ص 85] "أخذت أهل البلد تهجم على قلاع الساري وبيت عسكر"، يقول كاردان:

P.48

"Les musulmans étaient réunis autour des fort la maison du général en chef"

(أخذ المسلمون يجتمعون حول قلاع بيت ساري عسكر).

الواقع أن أغلب "أهل البلد" كانوا مسلمين، إلا أن موقف نيقولا ترك، عندما

يستخدم كلمة Les musulmans من خلال ترجمة كاردان، يصبح مختلفاً: ف "نيقولا ترك" المسيحى الديانة يتحدث عن "المسلمين" المختلفين عنه. بينما حين يقول "أهل البلد" فهو أكثر حيادياً (فلا توجد هنا حرب دينية وما ينتج عنها من "تعصب").

صورة الفرنسيين

نلاحظ أن صورة الفرنسيين عند نيقولا ترك مختلفة تماماً عنها عند الجبرتى. فهو معجب بهم. ويكفى أن نقرأ مقدمة الجبرتى حتى نتعرف على موقفه تجاه الفرنسيين وهناك تغييرات كثيرة تبين ذلك فى نص نيقولا ترك" نقرأ مثلا:

"الجنرال ميراد البطل الشجاع"[ص 45]، (الجنرال لاينوس "البطل الصنديد")[102] "الجنرال ديبوى البطل العظيم" [9]، ص5: الجنرال (بونابرت) شديد البطش وسعيد جدا فى الحروب".[ص5]

فلا نقرأ أحد أسماء الجنرالات الفرنسيين إلا وهى مقترنة بنعوت وصفات مادحة.

وثمة ملاحظة على جانب كبير من الأهمية توضح سمة غالبة على نص نيقولا ترك: فالملاحظ أنه لم يشاهد التجارب العلمية التى قام بها العلماء الفرنسيين فهو لا يذكر إلا العساكر وجنرالاتهم وشجاعتهم وقوتهم... وذلك لا يعنى أنه لم يذكر عيوبهم. إلا أن كاردان تعمد تجاهل ترجمة المآخذ والعيوب التى حددها نيقولا ترك فى القرنين ؛ فعلى سبيل المثال:

"ثم أن أحد الناس تفوه بهذا الخبر فبلغ ذلك إلى أمير الجيوش بونابرت فاحضره لديه وكان مراده قتله، فحصلت له شفاعة فأخذ منه ستماية فرانسا وأمر الجيوش أن كل من تفوه بهذا الشأن قصاصه ستماية ريال" [ص20].

وقد تم حذف هذه الجملة تماماً من نص ترجمة كاردان.

ويمكن طرح مثال آخر: " وساعد الفرنساوية على النصرة تلك الريح الشديد

التى خرج فى ذلك الوقت ضد الغز تلطمهم فى وجوههم فانكسرت عساكر الغز من شدة النار التى أمطرت عليهم". [ص14] فنجد كاردان يحذف هذه الجملة؛ لأنه على ما يبدو لم يعجبه أن تكون الأحوال الجوية سبباً فى انتصار الفرنسيين.

وقد لجأ كاردان إلى عملية ثنائية (حذف / إضافة) أربع مرات. وقد استخدم عبارة "السلب والنهب" يصف بها بعض أعمال الفرنسيين. فمثلاً: فى إحدى البيانات التركية للمصريين نقرأ: " لأن الفرنساوية الذين حضروا لهذا البر هم بذاتهم الذين خربوا بلاد إيطاليا وسلبوها وخربوا رميه وسلبوها وأخذوا مالطا وسلبوها" [ص2-0].

وقد حولها كاردان إلى:

p.4 "car les Français venus en Egpyte étaient les mêmes qu'avoient conquis Rome et Italie"

وهكذا فقد استبدل كاردان أفعال "سلب ونهب" بـ "conquis" "احتل" وهى كلمة ذات معنى إيجابى مقارنة بالكلمتين الآخريين. ولنطرح مثالا آخر: "وبدت الفرنساوية تحارب فى كل جهة من جهات مصر وتمزق فى بلاد وتنهب فى عباد" [ص25]. ترجمها كاردان:

p.15 "On pilla et incendia les maisons des fugitifs det de leurres débris on éleva des foritfications".

هناك فى هذه الجملة أكثر من حذف، لقد تم حذف "الفرنساوية" وتم استبداله بالضمير On وهو ضمير يفيد عدم تعريف الفاعل ويطلق عليه بالفرنسية "pronom indéfini". أما (الضمير غير المعروف) التغيير الثانى فهو أن كاردان يقول إنه تم السلب والحرق وذلك لبناء (éleva) قلاع...

* * *

هكذا نلاحظ أن نص نيقولا ترك يحتوى على تحريفات أقل من نص الجبرتى؛ ويرجع ذلك لأكثر من عامل. أولاً، يجب أن نتذكر أن نص الجبرتى ليس فقط

حوليات عسكرية مثل نص نيقولا ترك، فالنص الأول يحتوى أيضاً على صفحات عن تراجم الوفيات nécneogie، وكمّ كبير من التفاصيل عن الحياة اليومية للمجتمع المصرى فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر. وقد رصدنا عددا أكبر فى نص ترجمة الجبرتى، ويتم ذلك أساساً على مستوى صورة المصريين والفرنسيين. أما بالنسبة لصورة الإنجليز والأتراك والمماليك، فقد كان العدد أقل بكثير ويجب أن نضع فى الحسبان أنهم ليسوا موجودين فى الجزائر (الأرض التى تم احتلالها).

كان النصيب الأكبر من الحذف، كان لصورة المصريين المسلمين. فلكى نصبح أكثر دقة، ففى الإسلام يرى الفرنسيون العدو الأكبر وذلك يظهر فى تبديل كلمات "أهل البلد" و"المصريين" "بالمسلمين" إن نص نيقولا ترك يصبح مهم للترجمة لأنه يحمل جانب شديد الإيجابية تجاه الفرنسيين العساكر، وذلك البعد ليس موجوداً عند الجبرتى. فالجبرتى يعجب فقط بالجانب العلمى (بالعلماء الفرنسيين). والجدير بالذكر أن نص الجبرتى يسبق نص نيقولا ترك، أى أن هذا الأخير يتبعه فهو أقل أهمية، إلا أنه يكمله..

ويجب أن نؤكد: أن الأيديولوجية الاستعمارية قامت على بناء عدد من الأساطير mythes (أسطورة الفرنسى الأعلى، أسطورة المسلم المتعصب، أسطورة القبطى / المسيحى المضطهد). وتظهر هذه الأساطير فى الروايتين التى تم تحريفهما، وبذلك يتم تبرير استمرار الاستعمار...

الهوامش

(1) عبد الرحمن: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، الجزء الثانى، ص 179.

(2) Dozy:Supplément aux dictionnaires arabes ,Maisonneuve & co. Paris, 1881 ,tomo 2, P. 1021.

(3) عبد الرحمن زكي: خطط القاهرة فى أيام الجبرتى فى "عبد الرحمن الجبرتى دراسات وبحوث" الهيئة العامة للكتاب،القاهرة 1984، ص 493...

(4) مقدمة االترجمة عند ألكسندر كاردان.

(5) De Sacy ,S.:Chrestomathie arabe ou Extraits de divers écrivains arabes tant en prose qu'en vers avec une traduction française et des notes ,vol.I,1828, reimp. Osnabruck,Biblio.Verlaig,p.223.

(6) وذلك يمكن أن يعطى الانطباع أن ترجمة كاردان لم تكن مرضية.

(7) G.Wiet: Chroniques d'Egypte: 1798-1804. IFAO, Le Caire, 1950.

(8) R. Dozy: Supplément aux dictionnaires arabes. Leyde, E.J. Baille, Maisonneuve & Co., Paris, 1881, p.210.

❊ ❊ ❊